الدرس الأول

التمثيل

(طرق على الباب ، فى الصباح ، وفى غرفتى)

أنا : أدخل (يفتح الباب ببطء وحذر . وتدخل فتاة حسناء فى الثامنة عشرة من عمرها وتحملق فى بعينين مفتوحتين متهيبتين وهى تقبض على محفظة يدها بشدة)

الفتاة : أنا . . . . أنا . . . سمعت أنك تعلم فن التمثيل .

أنا : لامتأسف . الفن لا يمكن أن يعلم ، لكى تصبحى فنانة يجب أن تكونى ذات موهبة وقد تكون لدى الإنسان موهبة أو لا تكون . أن الموهبة يمكن تنميتها بالعمل الشديد الشاق ولكن من المستحيل أن تخلق موهبة وكل ما أعمله هو أن آخذ بيد أولئك الذين عقدوا العزم على الإشتغال بالمسرح ليتقدموا ويثقفوا أنفسهم كى يعملوا بجد وأمانة فى المسرح .

الفتاة : أجل ، هذا صحيح ، فساعدنى إن تفضلت لأنى أحب المسرح حباً لا حد له حب المسرح لا يكفى ، إذ من هو الذى لا يحبه ؟ إنه من أجل أن يشتغل الإنسان بالمسرح يجب أن يكرس نفسه له وأن يقف عليه حياته كلها ويقصر عليه جميع أفكاره وعواطفه إنك لتتنازلى عن كل شيء من أجل المسرح ، ولتتحملى كل شيء . بل أكثر أهمية من ذلك أن تكونى على استعداد لتقديم كل شيء من أجل المسرح ، كل نفسك ، وأن تتوقعى أن المسرح لن يعطيك شيئاً مقابل هذا حتى ولا أقل شيء مما يتراءى لك فيه جميلاً وجذابا

الفتاة : أعلم ذلك فقد مثلت كثيراً فى المدرسة وعلمت أن المسرح يجلب المتاعب ولست خائفة منه بل وإنى على استعداد لكل شيء إذا أمكننى فقط أن أمثل وأمثل . . . . وأمثل !

أنا : وافرضى أن المسرح لا يريد منك أن تمثلى وتمثلى وتمثلى .

الفتاة : ولماذا لا يريد ؟

أنا : لأنه ربما لا يجدك موهوبة .

الفتاة : ولكنى عندما مثلت فى المدرسة . . .

أنا : وماذا مثلت ؟

الفتاة : الملك لير

أنا : وأى دور مثلت فى هذه الرواية التافهة ؟!!

الفتاة : دور الملك لير نفسه وجميع أصدقائى وأستاذنا فى الأدب وحتى العمة مارى ، كلهم ، قالوا لى : بأنى قد مثلت تمثيلاً يستحق الإعجاب وإنى بالتأكيد موهوبة

أنا : معذرة ، فأنا لا أعنى إنتقاد هؤلاء السادة الذين ذكرتهم . ولكن هل تأكدت من أنهم خبراء فى معرفة المواهب ؟

الفتاة : أستاذنا مدقق جداً ، هو نفسه قد مثل معى فى الملك لير . إنه حجة كبيرة

أنا : فهمت . . . فهمت والعمة مارى ؟

الفتاة : لقد قابلت السيد بلاسكو شخصياً .

أنا : حسن جداً ولكن هل يمكن أن تخبرينى — عندما مثلت الملك لير — كيف عالجت أستاذك أن تؤدى هذه السطور مثلاً « إعصفى ياارياح واضربى خديك! إغضبى . إعصفى ! » .

الفتاة : أترغب فى أن أمثلها لك ؟

أنا : ولكن أخبرينى كيف تعلمت أن تقرئى تلك السطور . ماذا حصلت عليه من من أمر محاولتك ؟

الفتاة : تعلمت أن أقف هكذا ، قدماى كل قدم بجوار الأخرى ، مائلة بجسمى إلى الأمام قليلاً ، رافعة رأسى هكذا ، مادة ذراعاى إلى السماء وهازة قبضتاى . وحينئذ على أن آخذ نفساً عميقاً وأن أنفجر بضحكة تهكمية — ها ! ها ! ها ! (وضحكت ضحكة طفولة ساحرة لايضحكها إلا من كان سعيداً فى سن الثامنة عشر) ثم بينما ألعن السماء بأعلى صوت ممكن أنطق هذه الكلمات « إعصفى ياارياح واضربى خديك ! إغضبى ! إعصفى ! »

أنا : أشكرك إن فى هذا مايكفى لتعريف دور الملك لير كما وإنه تعريف بموهبتك . أتسمحين بأن أسألك شيئاً آخر أيضاً ؟ هل لك — من فضلك — أن تقولى هذه الجملة مرة لاعنة السماء ومرة أخرى بدون لعنها وكل ما أطلبه منك أن تحافظى على معنى الجملة ، أى فكرتها فحسب ، (لم تفكر كثيراً فهى معتادة على لعن السماء) .

الفتاة : عندما نلعن السماء نقول اللعنة هكذا : إعصفى ياارياح . . . . (بعد شديد

وتضخيم فى الصوت مثل Blooow لكلمة Blow) . (حاولت الفتاة لعن السماء بشدة ولكن رأيت من النافذة أن السماء الزرقاء تضحك من هذه اللعنة ، وهكذا ضحكت أنا أيضاً) وبدون لعنها يجب أن أمثلها بطريقة أخرى . حسناً . . . لا أدرى كيف أليست مضحكة ؟ حسناً ، هكذا : (اضطربت الفتاة وبابتسامة ساحرة ، ابتلعت الكلمات ولفظتها بسرعة شديدة دفعة واحدة هكذا : إعصفيارياح واضربى خديك إغضبى إعصفى متصلة ببعضها) . (لقد أصبحت مضطربة تماماً وحاولت إتلاف محفظة يدها) « صمت » .

أنا : كم يبدو هذا غريباً ! فمع انك فتاة صغيرة لم تترددى لحظة واحدة قبل لعن السماء ومع ذلك فأنت غير قادرة على إلقاء هذه الكلمات ببساطة ووضوح وتعيين ما يكمن فيها من معانى . أنت ترغبين فى أن تلعبى القطعة الموسيقية . الرائعة « الليل » « لشوبان » ولكنك لاتعلمين أين توجد النوتة الموسيقية تقطبى وجهك وتبترين ألفاظ الشعر والعاطفة الحالدة وفى نفس الوقت لاتملكين الصفة الأساسية لمن تذوق الفن . القدرة على نقل أفكار وأحاسيس وكلمات الغير منطلقياً . وبأى حق تقولين انك اشتغلت بالمسرح ؟ لقد حطمت الفكرة نفسها التى تحملها كلمة المسرح . (صمت . نظرت إلى الفتاة بعيون البرىء المحكوم عليه بالإعدام ، وقد سقطت محفظتها الصغيرة على الأرض) .

الفتاة : وهل من أجل هذا سوف لا أمثل أبداً ؟

أنا : وإذا قلت لك سوف لن تمثلى أبداً ؟ (صمت وتغيرت تعبيرات عيون الفتاة واخترقت بنظرها نفسى فاحصة مدققة فبدا لها أنى لست مازحا فاصطكت أسنانها بشدة وحاولت عبثاً إخفاء مايجيش بنفسها ولكن بدون فائدة وذرفت دمعة كبيرة صادقة من عينها ومن هذه اللحظة أصبحت الفتاة عزيزة على وهذا غير كل ماعزمت عليه — تحكمت فى نفسها وضغطت على أسنانها وقالت بصوت خافت —) .

الفتاة : ولكنى سأمثل فليس لدى شىء آخر فى الحياة (فى سن الثامنة عشر كلهم يتكلمون هكذا وبرغم هذا فقد أثر كلامها فى أعماق نفسى) .

أنا : حسناً إذاً يجب أن أخبرك أنك فى هذه اللحظة بالذات قدمت أكثر من أجل المسرح ، أو بالأحرى من أجلك أنت فى المسرح ، أكثر مما قدمت بتمثيلك فى كل أدوارك . أنت قاسيت الآن وأحسست بعمق وهاتان الصفتان هما اللتان لاتستطيعين أن تستغنى عنهما فى القيام بأى عمل فنى وخصوصاً فى فن المسرح وفقط بدفعك هذا الثمن يمكنك الحصول على سعادة الخلق والإبتداع . سعادة ميلاد قيمة فنية جديدة . لنبرهن على هذا فلنعمل

معاً مباشرة من الآن ، دعينا نخلق قيمة فنية صغيرة ولكنها حقيقية ومناسبة لقدرتك ، وهذه ستكون الخطوة الأولى فى تقدمك كممثلة (لقد نسيت البسمة الجميلة الكبيرة واختفت فى مكان ما فى الفضاء وظهرت بدلا منها إبتسامة ساحرة فاتنة . ماالمعتقد يوماً أن صوتى الأجش يستطيع أن يحدث مثل هذا التغيير) إصغى وأجيبى بإخلاص . هل رأيت فى حياتك رجلاً إختصاصياً منهمكا فى عمل إنشائى فى وقت عمله ؟ إن ربان السفينة التى تمخر عباب المحيط (مثلاً) مسؤول عن آلاف الأرواح ، أو عالم الحياة الذى يشتغل بمجهره أو معمارى يشتغل فى وضع تصميم لجسر معقد ، أو ممثل عظيم رأيته عن قرب فى تأدية دور جميل ؟

الفتاة : لقد رأيت جون بارى مور عن قرب عندما كان يمثل شخصية هاملت .

أنا : ماهو الأثر القوى الذى تركه فى نفسك بينما كنت تراقبينه ؟

الفتاة : كان مبدعاً ! ! ! .

أنا : أعرف ذلك ولكن ماذا أيضاً ؟

الفتاة : لم ينتبه إلى .

أنا : هذا أكثر أهمية . إنه لم ينتبه إليك وحدك بل لم ينتبه إلى أى شىء مما كان حوله كان يؤدى عمله فى التمثيل مثل مايفعل ربان السفينة وعالم الحياة والمهندس المعمارى . لقد كان مركزا عمله . تذكرى هذه الكلمة ، تركيز ، إنها مهمة فى كل فن وخاصة فى فن المسرح . التركيز هى الصفة التى تسمح لنا أن نوجه كل قوانا الروحية والذهنية نحو غرض محدود وأن نستمر فى هذا الإتجاه طالما يسرنا ذلك . وأحياناً لمدة تزيد على ماتحتمله قوانا الطبيعية . وإنى أعرف صياداً دهمته عاصفة وهو على ظهر سفينته ولم يترك دفة السفينة لمدة ثمانية وأربعين ساعة مركزاً كل جهوده لآخر لحظة فى تسيير سفينته الكبيرة ولما وصل بسفينته إلى الميناء سالماً سمح لجسمه أن يخور ويغمى عليه . هذه القوة فى سيطرتك على نفسك هذا التأكيد من القوة هو الصفة الأساسية لكل فنان مطبوع ، يجب أن توجديها فى نفسك وأن تنميها إلى أقصى درجة .

الفتاة : ولكن كيف ذلك ؟

أنا : سأخبرك ، لاتتسرعى . إن أهم شىء فى فن المسرح إحتياجه إلى نوع خاص

من التركيز . قربان السفينة له بوصلة وعالم الحياة له مجهر والمهندس له خرائط، كل هذه الأشياء أشياء خارجة منظورة فى التركيز والخلق . ويمكن أن يقال أن لهم هدف مادى وهو الذى توجه إليه كل قواهم، وكذلك المثال لديه هدفه ، والرسام والموسيقى والمؤلف أيضاً ولكن هذا الهدف يختلف تماما عند الممثل . خبرينى ماتظنين هدفه من التركيز ؟

الفتاة : دوره التمثيلى .

أنا : نعم إلى أن يتعلمه ولكن بعد دراسة ومراجعة يبدأ الممثل فى الخلق أو بالأحرى لنقل أنه أولا يبتدع طريقة البحث ، وفى النهاية يبدأ فى إبتداع « الخلق » فى تمثيله . وما هو التمثيل ؟

الفتاة : التمثيل . التمثيل هو عندما ... يمثل ... يمثل ... أنا لا أعرف .

أنا : هل تريدين أن تكرسى كل حياتك لمهنة شاقة لا تعرفين ماهى ؟ التمثيل هو حياة الروح البشرية ، ولد من الفن . فى مسرح إبداعى يكون الغرض التركيزى للممثل هو الروح البشرية . وفى الفترة الأولى من عمله — البحث — يكون غرض التركيز عند الممثل هو روحه وأرواح السيدات والرجال المحيطين به . وفى الفترة الثانية — الخلق — يكون الغرض روحه هو فحسب . وهذا يعنى أنك لكى تمثلى يجب أن تعرفى كيف تركزى قواك فى مادة غير محسوسة ولا ملموسة . فى شىء لا يمكنك ملاحظته إلا بإندماجك الكلى فيما يكمن فى نفسك ، عارفة بما يظهر فى الحياة فى لحظة يكون فيها الصراع عنيفاً والعاطفة ملتهبة على أشدها . أو بصفة أخرى أنت فى حاجة إلى تركيز روحى فى العواطف الغير موجودة ولكنها تكون وليدة الإختراع وبنت الخيال .

الفتاة : ولكن كيف يستطيع الإنسان أن ينمى فى شخص ما شيئاً ليس موجوداً . كيف يبدأ بهذا ؟

أنا : من أول نقطة فى البداية . ليس من « الليل لشوبان » ولكن من أول درجات السلم الموسيقى وهذه الدرجات هى حواسك الخمسة : النظر والسمع والشم واللمس والذوق . وستكون هذه هى مفتاح قريحتك الإبداعية مثلها مثل السلم الموسيقى الذى إستعمله شوبان ليصل إلى مقطوعته (الليل) تعلمى كيف تحكمى هذا المقياس ؛ كيف تركزى حواسك بقوتك الذاتية كلها

لتجعليها تعمل عملاً آليا ، أو لتعطيها مسائل مختلفة وتخلق الحلول .

الفتاة : آمل أنك لاتعنى أنه تقول أننى لا أعرف حتى كيف أصغى أو كيف أشعر ؟

أنا : فى الحياة يمكنك أن تعرفى . الطبيعة قد علمتك قليلاً (أصبحت جريئة مقدامة تتكلم وكأنها تتحدى العالم بأسره) .

الفتاة : لا . وفى المسرح أيضاً .

أنا : أحقاً ؟ لنرى . أرجوك أن تصغى وأنت جالسة الآن إلى خدش فأرخيالى فى تلك الزاوية .

الفتاة : أين المستمعين ؟

أنا : هذا لايعنيك مطلقاً ، فجمهور مستمعيك ليس عجلاً لكى يشترى تذاكر لمجرد علمهم بتمثيلك . انسى هذا . حلى المسألة التى طلبتها منك . إصغى إلى خدش فأر فى تلك الزاوية .

الفتاة : حسناً (تبع ذلك إيماءة خفيفة بالأذن اليمنى ثم باليسرى والتى لم يكن لها علاقة بالإشتراك مع الإصغاء إلى الخدش الخفيف بمخلب الفأر فى حالة السكون)

أنا : حسناً . والآن أرجوك أن تصغى إلى أنغام جوقة موسيقية تعزف لحناً من (عايدة) هل تعرفى اللحن ؟

الفتاة : طبعاً .

أنا : أرجوك (إتبعت نفس الطريقة لاشىء تعمله فى إصغائها إلى لحن الإنتصار . إلى أبتسم إبتدأت الفتاة تفهم أن هناك شيئاً من الخطأ . فاضطربت وانتظرت قرارى) أراك تفصحين عن ضعفك وكيف أنك ترين أن الفارق بسيطاً بين العمل الحقير والعمل الرفيع ؟

الفتاة : لقد أعطيتنى مسألة صعبة جداً .

انا : أيكون لعنك للسماء فى الملك ليز أسهل ؟ لا ياعزيزتى سأخبرك بصراحة : أنت لاتعرفين كيف تبتدعين أبسط وأسهل قطعة من حياة الروح البشرية . ولاتعرفين كيف تركزين قواك الروحية وليس هذا فحسب . انك لاتعرفين كيف تبتدعين الخواطر والأحاسيس المعقدة ولكنك لاتملكين حق حواسك الخاصة . كل هذا يجب عليك أن تتعلميه بواسطة تمرينات يومية شاقة يمكننى أن أعطيك آلافاً منها . لوتفكرى فسوف يكون فى استطاعتك أن تخترعى ألف تمرين أخرى .

الفتاة : حسناً سأتعلم . سأعمل كل شيء تخبرني به . وحينئذ هل سأكون ممثلة ؟

أنا . سيأتي سؤالك . بالطبع سوف لن تكوني ممثلة بعد لتصغي ولتنظري ولتشعري بصدق . هذا ليس كل شيء . يجب أن تعملي كل هذا بإحدى طريقة. إفرضي أنك تمثلين وعندما ترفع الستار تكون مهمتك الأولى هي أن تصغي إلى صوت سيارة راحلة . يجب أن تمثلي ذلك بطريقة تجعل الألف شخص الموجودين بالصالة والذين يكون كل منهم في هذه اللحظة مركزاً أفكاره في أشياء خاصة فأحدهم في « تقلب أسعار البورصة » وآخر في « متاعب منزلية » وثالث في « السياسة » ورابع في « وليمة عشاء » أو في « الفتاة الجميلة الجالسة إلى جواره » بطريقة أن يعرف كل منهم ويشعر في الحال بأن تركيزهم أقل أهمية من تركيزك . إنك تركزين أفكارك في صوت سيارة راحلة فحسب . يجب أن يشعروا بأن ليس لهم الحق في أن يفكروا في تقلب أسعار البورصة في أثناء وجود سيارتك الخيالية . إنك أنت أقوى منهم ولأنك في هذه اللحظة أهم شخص في العالم ولا أحد يجسر على إزعاجك . لا يجرؤ إنسان على إزعاج رسام في مرسمه . وهي غلطة الممثل وحده إذا سمح للجمهور أن يتدخل في إبتداعه وخلقه . لو ملك كل الممثلون القدرة على التركيز ومعرفة كل ما أقول . فلا يمكن أن يحدث أبداً أي إزعاج لأحدهم .

الفتاة : ولكن ما الذي يلزم لذلك ؟ .

أنا . الموهبة وطريقة التنفيذ وتعليم الممثل يشتمل على ثلاثة أقسام : أولا . تدريب جسمه أي جهازه الطبيعي كل عضلة ووتر . وبصفتي مخرجاً أستطيع أن أعمل جيداً مع ممثل يكون جسمه كامل النمو .

الفتاة : كم من الوقت يحتاج الممثل الصغير أن يقضيه في هذه العملية ؟

أنا ساعة ونصف كل يوم من العمل المنظم في التمرينات الآتية : ألعاب الجمباز والتوازن والرقص الكلاسيكي ولعب السيف (الشيش) وجميع تمرينات التنفس وتمرينات إقرار الصوت والترتيل والغناء والتمثيل بالحركة (والمكياج) ساعة ونصف في كل يوم لمدة سنتين . وتمرين ثابت متواصل بعد ذلك في كل ما علمت . كل هذا سيجعل الممثل موضع الحفاوة والإكرام .

والقسم الثاني من التعليم يكون ذهنيا تهذيبيا يمكن المرء من مناقشة شكسبير وموليير وجوتة وكالدرون بشرط أن تكون هذه المناقشة مع ممثل

متقفف ذهنيا يعرف المهمة التي قد تصدى لها هؤلاء الرجال ، وماذا عملوا في مسارح العالم لتقديم رواياتهم ؟ أنا بحاجة إلى ممثل يعرف أدب العالم ، ممثل يستطيع أن يفرق بين الخيال الألماني والفرنسي . أريد ممثلا يعرف تاريخ التصوير والنحت والموسيقى والذي يستطيع أن يحتفظ في ذاكرته دائما ولو ولو على أقل تقدير على وجه التقريب بطريقة كل عصر وشخصية كل مصور عظيم . أريد ممثلا تكون لديه فكرة واضحة تقريبا عن الحركة في علم النفس والتحليل النفسي والتعبير عن العواطف والشعور المنطق .

أريد ممثلاً يعرف شيئاً عن علم تشريح جسم الإنسان كما يعرف أعظم أعمال النحت . كل هذه المعرفة ضرورية ، لأن الممثل وثيق الصلة بها وعليه أن يؤدي دوره بواسطتها في المسرح . وهذا التدريب الثقافي يمكن الممثل من القدرة على تمثيل أدوار مختلفة .

والقسم الثالث من التعليم هو الذي أطلعتك على إبتدائه في هذا اليوم وهو تعليم وتدريب الروح وهو أهم عامل في الفن التمثيلي . فإن الممثل لايستطيع أن يثبت وجوده بدون روح منشأة تنشئة كافية لتكون قادرة على إنجاز كل عمل وتغيير كل عمل تقليدي في أول ماتمليه عليه الإدارة . وبلغة أخرى يجب أن يكون لدى الممثل روحاً قادرة على العيش في كل حالة يفرضها المؤلف . لايوجد ممثل عظيم بدون روح كهذه : ولسوء الحظ أنها تحتاج إلى عمل طويل شاق وبذل أوقات غالية وخبرة طويلة في سلسلة أدوار تجريبية . والعمل لهذا يشتمل على تنمية المقدرات الآتية : (١) تملك تام لجميع الحواس الخمس في الحالات التصويرية المختلفة (٢) تنمية المقدرة على الإحساس (٣) ذاكرة الإلهام والإدراك (٤) ذاكرة المخيلة وأخيراً (٥) ذاكرة بصرية .

الفتاة : ولكني ما سمعت قط بتلك جميعاً .

أنا : ومع ذلك فهي بسيطة تقريباً « كلعب السماء » تنمية الصدق في المخيلة وتنمية المخيلة نفسها ، وتنمية البساطة الطبيعية ، وتنمية الملاحظة ، وتنمية قوة

الإرادة ، وتنمية قوة المقدرة على إظهار التعبيرات المختلفة للعاطفة ، وتنمية حاسة المرح وحاسة الفجيعة والحزن وليس هذا كل شيء .

فتاة : هل هذا ممكن ؟

نا : بقى شيء واحد بمفرده لايمكن تنشئته ولكن يجب أن يكون موجوداً ، وهذا الشيء هو الموهبة (نهضت الفتاة واستغرقت فى تفكير وصمت عميق أما أنا فجلست فى صمت وسكون)

فتاة : لقد جعلت المسرح يبدو كشيء ضخم كبير ، مهم جداً عظيم . .

نا : نعم عندى أن المسرح سرعظيم ، السر الذى تلتحم فيه الظاهرتان الأبديتان التحاما يذهل العقول . حلم الكمال وحلم الأبدية . إن مثل هذا المسرح ليستحق أن يقدم الإنسان من أجله حياته كلها (نهضت ونظرت الفتاة إلى بعيون مملوءة بالحزن وفهمت ما تعبر عنه هذه العيون) .